

اليمنى مع اليسرى، سترى بوضوح أن الطلاب الموهوبين بعيدون عن المتوسط في الجهة اليمنى للمنحنى الجرسى تماماً مثل الطلاب متدني التحصيل على الجهة اليسرى من المنحنى الجرسى. وإذ إن هناك أسباباً كثيرة لدعم النمو الأكاديمي للأطفال الموهوبين، فإن هذه الحقيقة وحدها تكفي لتكون مبرراً واضحاً للقيام بتدخل مماثل يتماشى مع احتياجاتهم؛ ألا وهو تعديل الوتيرة والمحتوى وكمية العمل وأسلوب التدريس والتعلم؛ إذ يحتاج الطلاب الموهوبون إلى سرعة تدريس أكبر، وكمية أصغر من التمارين الخاصة بمستوى المرحلة الصفية، وتفهم لأسلوب عملهم المستقل، ومعلم يجب أن يكون لهم بمنزلة موجّه ومرشد، وفرص للعمل مع شركاء يتشابهون معهم في قدرات التعلم والأسلوب والاهتمامات، وهم لا يحتاجون إلى هذا كله لأنهم موهوبون، بل لأنهم ليسوا في المستوى المتوسط.

الأطفال الموهوبون ليسوا (مميزين) أكثر من الآخرين، ولكن معايير المرحلة الصفية تصف ما يجب أن يتعلمه الطلاب العاديون في عمر معين، وعندما نتقبل حقيقة أن الأطفال الموهوبين قادرون على التعلم في مستويات تفوق توقعات العمر الزمني لهم، سنفهم فوراً لماذا يجب تعديل معايير المرحلة الصفية لهم، ونفعل ذلك لأن الطلاب الموهوبين- تماماً مثل الطلاب الذين يكافحون لتلبية المعايير- بعيدون عن المتوسط.

ممارسة أسلوب التجميع العنقودي يمكنها أن توفر الخدمات الأكاديمية طوال الوقت للطلاب الموهوبين من دون أن يؤثر ذلك في الميزانية تأثيراً كبيراً، فضلاً على أن لها القدرة على رفع المستوى التحصيلي للطلاب كافة.

تلبية احتياجات الطلاب كافة؛ نموذج التجميع العنقودي المدرسي الشامل

يعرض هذا الكتاب نهجاً رائعاً لمساعدة المدارس على تلبية احتياجات الطلاب جميعهم، ومن ضمنهم الموهوبون، وهذا النهج يدعى نموذج التجميع العنقودي المدرسي الشامل the Schoolwide Cluster Group Model - SCGM. تزداد شعبية نموذج التجميع العنقودي للطلاب في الكثير من الولايات؛ لأن بإمكانه توفير الخدمات الأكاديمية طوال الوقت للطلاب

الموهوبين من دون أن يؤثر ذلك في الميزانية تأثيراً كبيراً، فضلاً على أن له القدرة على رفع المستوى التحصيلي للطلاب كافة في المراحل الصفية التي يستخدم فيها الأسلوب العنقودي.

باستخدام هذا النموذج يجمع الطلاب الموهوبون في الفصول بناءً على قدراتهم، في حين يوضع الطلاب الآخرون كافة تبعاً لمستوياتهم التحصيلية.

إن التجميع العنقودي في نموذج التجميع العنقودي المدرسي الشامل مختلف عن أساليب التجميع العنقودي الأخرى؛ لأن تركيبة الفصول نُظمت بدقة بوجود هدفين رئيسيين: الأول هو ضمان وجود التوازن في القدرات في المرحلة الصفية من دون العودة إلى أسلوب التقسيم بحسب القدرات، والثاني هو التقليل من حجم نطاق التعلم الذي يوجد في كل فصل.

وحيث سُرحت عملية تشكيل المجموعات العنقودية وكيفية وضعها في الفصول في الجزء الأول بالتفصيل، يظهر الرسم في الصفحة ١٩ مثالاً على كيفية تحقيق هذين الهدفين من خلال تقسيم الطلاب ضمن مرحلة صفية ما إلى خمس مجموعات؛ تمثل المجموعة رقم ١ الطلاب الموهوبين الذين سيكونون في المجموعة العنقودية الخاصة بالموهوبين؛ والمجموعة رقم ٢ تمثل الطلاب أصحاب التحصيل المرتفع، وهم ليسوا موهوبين ولكنهم نابغون، وهؤلاء الطلاب سيوضعون في مجموعات عنقودية وفي فصول لا تحتوي على المجموعات العنقودية للموهوبين. (وضع الطلاب الموهوبين والطلاب أصحاب التحصيل المرتفع الذين لم يحدّد أنهم موهوبون في عناقيد في فصول منفصلة، يُعدُّ عنصراً رئيسياً في نموذج التجميع العنقودي المدرسي الشامل الذي أثبت إمكانية توسيع النمو الأكاديمي لكلتا المجموعتين)؛ وتمثل المجموعة رقم ٣ الطلاب أصحاب الأداء الأكاديمي المتوسط^(١).

(١) المصطلح (متوسط) مصطلح نسبي، ويشير إلى ما هو متوسط بالنسبة إلى طلاب المدرسة ككل. المجموعة رقم ٣ تتضمن أولئك الطلاب الذين يكون أداؤهم عادة في مستوى المرحلة الصفية، والمجموعة رقم ٤ تتضمن أولئك الذين يكون أداؤهم أدنى من مستوى المرحلة الصفية، وأما المجموعة رقم ٥ فتتضمن أولئك الذين يكون أداؤهم أدنى من مستوى المرحلة الصفية بكثير.

مثال على تركيبة فصل لنموذج التجميع العنقودي على مستوى المدرسة
(لمرحلة صفية واحدة)

المجموعة رقم ٥ أدنى من المتوسط بكثير	المجموعة رقم ٤ الأدنى من المتوسط	المجموعة رقم ٣ المتوسط	المجموعة رقم ٢ أصحاب التحصيل المرتفع	المجموعة رقم ١ الموهوبون	٣٠ طالباً في ٣ فصول
٠	١٢	١٢	٠	٦	الفصل أ
٦	٦	١٢	٦	٠	الفصل ب
٦	٦	١٢	٦	٠	الفصل ج

أما المجموعة رقم ٤، فتمثل الطلاب الذين يعدُّ أدأوهم أدنى من المتوسط؛ والمجموعة رقم ٥ تمثل الطلاب الذين ينتجون عملاً في مستوى أدنى بكثير من توقعات المرحلة الصفية، أو أصحاب صعوبات التعلم الكبيرة.

يوضع الطلاب ذوو الاحتياج المزدوج- وهم الموهوبون الذين لديهم صعوبات تعلم- في المجموعة رقم ١؛ مثل الطلاب الموهوبين الذين لا يجيدون اللغة الإنجليزية. كما يظهر في المثال أعلاه، ستضمن الفصول التي فيها المجموعة العنقودية الخاصة بالموهوبين طلاباً من المجموعات رقم ١ و٣ و٤، والفصول الأخرى في المرحلة الصفية ستشمل طلاباً من المجموعات رقم ٢ و٣ و٤ و٥. فعلى نحو مثالي، لن يشمل أي فصل طلاباً موهوبين مع الطلاب أصحاب الأداء المتدني جداً بالنسبة إلى المتوسط، وبذلك سيكون النطاق التحصيلي في الفصول كافة متقارباً جداً أكثر من الفصول التي تحتوي مجموعات غير متجانسة على الإطلاق.

كيف يختلف هذا النوع من التجميع العنقودي عن أسلوب التقسيم بحسب القدرات؟ إن الاختلافين الرئيسيين يكمنان في أنه في نموذج التجميع العنقودي المدرسي الشامل تكون الفصول جميعها غير متجانسة والطلاب كلهم يحصلون على مناهج مختلفة. وفرص التسريع في التدريس أو التعمق في المادة توفَّر بشكل مستمر للفصول كافة، وهو ما يعني أن بعض الطلاب في المجموعة العنقودية الخاصة بالموهوبين (المجموعة رقم ١) سوف يحصلون على التعليم المتميز في بعض الأحيان الذي لا يحصلون عليه في أحيان أخرى، وستكون هنالك أوقات يتمكن فيها الطلاب الذين لم يحدّد أنهم موهوبون من الاستفادة من الفرص المتوافرة للتعليم المتميز.

باستخدام التجميع العنقودي، سيكون في فصول المرحلة الصفية طلاب من مختلف المستويات والقدرات التعليمية. وستتوافر فرص التعلم للطلاب جميعهم في الفصل، وسيستخدم المعلمون مستوى دخول الطلاب أو استعداداتهم ليحددوا المستويات والسرعة في تدريس المنهج.

وهذا يختلف عن نظام التتبع الذي يتم فيه تجميع الطلاب كافةً بحسب القدرات لمعظم اليوم الدراسي، ونادرًا ما يتعرضون لخبرات تعلم تتعدى مدى تحصيلهم المتوقع؛ ففي نظام التتبع، يُحدد للطلاب منهج معين تبعًا لمستوى قدراتهم، ولا يتوجهون بشكل عام إلى غيره، في حين أنه في نموذج التجميع العنقودي المدرسي الشامل، يضم كل فصل في المرحلة الصفية طلابًا ضمن نطاق المستويات وقدرات التعلم. ومن أجل الوصول إلى هذا النطاق فعلى المعلمين بالطبع تعديل معايير المرحلة الصفية أو توسيعها.

في نموذج التجميع العنقودي المدرسي الشامل الذي يشرحه هذا الكتاب، تشتمل الفصول كلها على طلاب أصحاب أداء عالٍ، فبينما يشتمل فصل أو اثنان على مجموعة عنقودية من الطلاب الموهوبين، تشتمل بقية الفصول على مجموعة من الطلاب أصحاب التحصيل المرتفع الذين- على الرغم من عدم عدّهم موهوبين- يقومون بسهولة بدور القدوات الأكاديمية الإيجابية. في نموذج التجميع العنقودي تتاح فرص التعلم لجميع الطلاب في الفصل، ويستخدم المعلمون مستوى دخول طلابهم أو استعداداتهم ليحددوا مستويات تدريس المنهج ووتيرته. يدرّب المعلمون على التعليم المتمايز والمنهج المضغوط، ويتلقّى الطلاب تقويمًا مستمرًا، ويكون تقويم نتائج التجميع العنقودي المدرسي الشامل بصورة مستمرة.

يتطلب التجميع العنقودي تمايز المعلمين للتدريس، ويحدث التعليم المتمايز عندما يعدّل المعلم المنهج وأساليب التدريس استجابةً لاحتياجات الطلاب، ونقاط قوتهم، وأنماط تعلمهم، واهتماماتهم بوصفهم أفرادًا؛ حتى يتسنى للطلاب كافةً التعلم بحسب إمكاناتهم الكاملة.

ماذا تخبرنا البحوث عن التجميع العنقودي

البحوث التي توثق فوائد وضع الطلاب الموهوبين معًا بحسب مجالات نقاط قوتهم لجزء من اليوم المدرسي على الأقل، هي البحوث التي تدعم الفلسفة الكامنة وراء التجميع العنقودي